البابوية و الشرق الأوسط

جورج إميل إراني – تلخيص باعوشي باحمد

1- التعريف بالكتاب:

"البابوية و الشرق الأوسط" كتاب من تأليف الدكتور جورج إميل إراني مدير المعهد الدولي بجامعة كاليفورنيا، وقد صدر هذا الكتاب سنة 1986 وقامت بطبعه مصلحة النشر لجامعة نوتردام بولاية أنديانا الأمريكية.

ويتناول المؤلف في كتابه دور الفاتيكان ومساعيه الرامية إلى حل التراع العربي الإسرائيلي من الفترة الممتدة من 1962 إلى غاية 1984، وقسم المؤلف بحثه هذا إلى ثلاث فصول أساسية هي:

أ- وجهة نظر الفاتيكان حيال التراع العربي الإسرائيلي .

ب- توضيح وإظهار أوجه التشابه والاختلاف بين كل من الفاتيكان كمؤسسة دينية مسيحية بحتة والأراضي المقدسة بفلسطين والتي تتقاسمها الديانات السماوية الثلاث إلى جانب إبراز مشكلة القدس على حدة، نظرا لخصوصيتها.

ج- دور الفاتيكان وسعيه لإنهاء الحرب اللبنانية

وقد ختم المؤلف كتابه بخلاصة عامة تطرّق إلى أهم الجوانب الدينية والسياسية التي تناولها الفاتيكان في مساعيه الرامية إلى إنهاء الصراع في الشرق الأوسط.

أ – الفصل الأول:

إنّ أهم ما تطرّق إليه الكاتب في هذا الفصل من كتابه هو التركيز على الحياد الذي ميّز تدخل الفاتيكان في أزمة الشرق الأوسط، فالتدخل لم يكن مباشرا أو منحازا بصفة واضحة إلى طرف ما دون طرف آخر، فالتدخل كان إنسانيا ودبلوماسيا اكثر منه سياسيا لأن الفاتيكان كان حريصا على كسب ودّ جميع الأطراف المتنازعة في المنطقة بدليل أنه لم يمانع قيام دولة إسرائيل بالرغم من عدم إقامة علاقات ديبلوماسية معها منذ البداية، وقد صدر هذا الاعتراف على لسان القس **(ويليام مورفي)** نائب السكرتير العام لمؤتمر **(العدل و السلام)** للتقارب اليهودي – المسيحي الذي أقيم في بوسطن عام 1983 والذي قال فيه "إن الفاتيكان يعترف بحق إسرائيل في الوجود وبحقها في حماية حدودها، ولها أن تتصرف كدولة كاملة السيادة، ولذا فالفاتيكان لا يعارض من حيث المبدأ إنشاء علاقات دبلوماسية مع إسرائـــيل".

وفي المقابل لم يتوان الفاتيكان في الدفـــاع عن حقوق الشعب الفلسطيني وشعوب الشرق الأوسط بصفة عامة نظرا للتواجد المسيحي هناك، فطائفة كبيرة من العرب المسيحيين كانوا كاثوليكيين وموالين للفاتيكان، وخاصة في الضفة الغربية ولذا فالفاتيكان لم يتنكر لهم بل

وقف إلى جانبهم عن طريق الإشراف على بعض المرافق الحيوية، فجامعة بيت لحم كانت خاضعة للرعاية السامية للفاتيكان ولذا فسلطات الاحتلال بالضفة الغربية غير قادرة على الحدّ من نشاط الجامعة أو غلقها في أي حال من الأحوال ولو لفترة مؤقتة، وكما وقف الفاتيكان إلى جانب لبنان بعد تعرض أسطوله الجوي المدني إلى غارة إسرائيلية دمرته عن آخره في يوم 28 ديسمبر 1968 ردا على تفجير طائرة إسرائيلية بمطار أثينا من طرف فدائيين فلسطينيين، وعليه بعث البابا بول الرابع برسالة تعاطف إلى الرئيس اللبناني آنذاك شارل حلو معبرا له فيها عن مساندته له ووقوف الفاتيكان إلى جانب شعبه وقوبلت هذه الرسالة باستنكار إسرائيلي شديد، ويعود السبب الرئيسي إلى حرص الفاتيكان على إقامة علاقات ممتازة مع الدول العربية الإســـلامية إلى تواجد بعض الأقليات المسيحية والكاثوليكية على أراضيها وهذا ما يسمح لها بالقيام بواجبها نحوهم بدون أية عراقيل.

ويتخلص دور الفاتيكان في سعيه إلى حل أزمة الشرق الأوسط في نقطتين أساسيتين هما:

1. تركيز الفاتيكان على الجانب الإنساني نظرا لإيمانه بحق الشعوب في تقرير مصيرها.

2. سعيه إلى القيام بدور الوسيط بين العرب والإسرائيليين لوضع حد للنزاع القائم بينهما.

ب- الفصل الثاني

تطرق الكاتب في هذا الفصل إلى مكانة القدس في قلوب أهل الديانات السماوية (الإسلام، المسيحية واليهودية)، فالقدس بالنسبة لجميع المسلمين من إندونيسيا إلى المغرب ترمز إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- الذي نزل عليه الحي في مكة ثم أسري به إلى القدس ومنها عرّج إلى السماء، وبالنسبة للمسيحيين فهي مهد المسيح، واليهود يعتبرونها أرض الميعاد، ونظرا لهذه المكانة الدينية والتاريخية التي تحظى بها القدس في قلوب البشرية أصبحت عرضة للاحتلال والغزوات منذ القدم، وأكبر احتلال عرفته -حسب رأي الكاتب- هو الاحتلال العثماني، وبصدور وعد بلفور والذي ينص على تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين أصبحت القدس رهينة النزاع العربي الإسرائيلي، ويتلخص موقف الفاتيكان من هذا النزاع في محورين أساسين هما:

1- وضع القدس تحت حماية دولية تضمن سلامتها وأن تعطى لها مكانة خاصة تضمن لها قدسيتها.

2- ضمان حقوق جميع العرب القاطنين بالقدس باختلاف ديانتهم.

ج- الفصل الثالث

دور الفاتيكان ومساعيه إلى إخماد الحرب الأهلية اللبنانية لم يتوان الفاتيكان في ادّخار أدنى جهد لوضع حدّ للحرب الأهلية التي نخرت

الجسد اللبناني لأكثر من عشر سنوات، فلقد ألقى بكل ثقله الدبلوماسي والإنساني لإنهاء هذه الحرب والتي كان للطوائف المسيحية باع فيها.

وتحدى الفاتيكان كل من فرنسا وأمريكا اللتين كانتا ضد أي تدخل من أي طرف كان مخافة زوال مصالحها الخاصة في المنطقة والسبب هو أن فرنسا كانت في البلد المستعمر للبنان وهي التي فصلته عن سوريا وأقامته كدولة ذات سيادة للمسيحيين المارونيين خاصة، والدستور اللبناني هو من وضع فرنسي و بموجبه أعطيت الأولوية للطائفة المارونية لحكم لبنان و أسندت الوزارة الأولى للمسلمين من أهل السنة ورئاسة البرلمان للمسلمين من أهل الشيعة ففرنسا هي المكرسة للطائفية في لبنان والتي مهدت لحرب أهلية مؤقتة لهذا البلد.

وأما أمريكا فأرسلت بقوتها بحجة حفظ السلام في لبنان بينما كانت تسعى في الحقيقة إلى تكريس وجودها في المنطقة، ورغم هذا رفع الفاتيكان التحدي وقام بمجهودات عظيمة لإنهاء الحرب في لبنان باعتباره قلعة مسيحية في الشرق الأوسط، ولذا أرسل ببعض من ممثليه إلى لبنان قصد تهدئة الوضع وتقريب وجهات نظر الاخوة الأعداء.

وأهم مبعوث أوفده البابا إلى لبنان الكاردينال (**بيرتولي**) وكان مصحوبا بخبيرين في شؤون الشرق الأوسط وهما القسيسان (**فرانسيكو مونتيريسي**) و(**أغوسيتنودي باجيو**) يوم 16 سبتمبر 1975 وحملها البابا بول الرابع رسالة خطية منه إلى الرئيس اللبناني (**سليمان فرنجية**) يدعوه فيها هو وجميع الفصائل المتناحرة الأخرى إلى وضع السلاح وإلى التفاهم بالطرق السليمة لفض نزاعاتهم، وقد ردّ على المسيحيين المتشددين الذين

يزعمون أن المسيحية مهددة في لبنان بقوله "إن التعايش بين الطوائف الدينية والسياسية والمذهبية في لبنان نموذج فريد من نوعه في العالم ولذا فالحل بأيدي اللبنانيين أنفسهم".

الخلاصة

الهدف من هذا الكتاب هو إبراز دور الفاتيكان والسلطة البابوية في حل نزاع الشرق الأوسط بالطرق السلمية المبنية على التفاهم والتفاوض ونبذ العنف بدون أية دوافع مصلحية أو سوابق سياسية والتي تتسم بها تدخلات الدول الفاعلة في المنتظم الأممي مثل أمريكا وبريطانيا وفرنسا وروسيا وعليه فهو يريد أن يردّ على الذين يتهمون الفاتيكان والبابا بالحياد السلبي تجاه القضايا الساخنة في العالم.